منازل القبائل العربية

حول دمشق

— ١ —

كان في الشام قبل الإسلام قبائل كثيرة من العرب المتحضّرة وغير المتحضّرة نزحت من شبه الجزيرة العربية ونزلت في بادية الشام بين الفرات ووادي العاصي، وفي بعض المدن أو حولها . فاستقرّوا بها [١] وأوتي بعض هذه القبائل الحكم وكانوا سادة العرب فيها [٢] .

فمن هذه القبائل قضاعة التي صارت الى ملوك الروم : وأُوتيت تنوخ بن مالك الملك، ودخلوا في دين النصرانية فملكهم ملك الروم على مَنْ ببلاد الشام من العرب [٣] .

ووردت سليح الشام فتغلبت على تنوخ . وملكها الروم على العرب [٤] .

---

(١) عن العرب في الشام قبل الاسلام انظر :

Dussaud, les Arabes en Syrie avant l'Islam. Paris 1927.

نولدكه ، أمراء غسان ، بيروت ١٩٣٣ .

لامانس ، سورية في زمن الفتح العربي ، مجلة المشرق ١٩٣٢ .

(٢) يذكر نولدكه أن العرب لم يكونوا في الشام ملوكاً ، وانما أتى هذا الاسم من السريان الذين كانوا يسمّون أمراء العرب ملوكاً . أما الوثائق التي تمثل لغة الحكومة الرسمية المستعملة حينذاك لم تكن تطلق على أمراء العرب، ومنهم الغساسنة سوى لقب بطريق Patricius أو رئيس قبيلة Phylarch نولدكه ص ١٢ .

(٣) اليعقوبي ، تاريخ ، ليدن ١ : ٢٣٤ .

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، باريز ٣ : ٢١٦ .

ومن سليح الضجاعم [١] الذين حكموا في أواخر القرن الرابع للمسيح [٢] وكان منهم داود اللثق الذي يُضاف اليه دير داود بالشام والذي ملك زماناً [٣] .

وجاء بنو جفنة الغسّانيون فأوتوا الحكم في الشام بعد أن انتصروا على الضجاعم [٤] وظلوا حكاماً حتى قبيل الفتح سنة ٥٨٤ ، حين حمل المنذر الغسّاني أسيراً الى عاصمة الروم فتصدّعت أحوال العرب في سورية وتفككت عرى وحدتهم حتى اختارت كل قبيلة منهم أميراً [٥] .

وهذه القبائل النازحة الى الشام كانت تسمى «عرب الضاحية» وكانت الروم تستنفرهم قبيل الفتح على «عرب الجزيرة» . وتذكر المصادر من عرب الضاحية بهراء وسليح وكلب وتنوخ ولخم وجذام وغسّان وقضاعة من تزيد بن حيدان [٦] . ونذكر الى جانب هؤلاء تغلب بن ربيعة التي نزلت بأرض الجزيرة ، وهي ديار ربيعة ومضر [٧] ونزل السلميون من طيء بحاضر قنسرين من أعمال حلب وبقوا فيها [٨] .

— ٢ —

فلما كان الفتح ، دفعت الجزيرة الى الشام قبائل جديدة . غير التي خرجت من قبل . ولدينا نص ذو شأن جمع فيه أسماء القبائل التي خرجت الى الشام ، جاء فيـه :

(١) انظر عن الضجاعم نولدكه ص ٦ . وابن دريد ، الاشتقاق ، ليبسيغ ، ص ٣١٩ .
(٢) نولدكه ص ٦ .
(٣) ابن دريد : الاشتقاق ص ٣١٩ .
(٤) اليعقوبي ، تاريخ ١ : ٢٣٥ .
(٥) نولدكه ، امراء غسان ص ٣٤ .
(٦) الطبري ، تاريخ ، ليدن ، ١/٤/٢٠٨٣ . ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، المجمع العلمي بدمشق ، ص ٤٠٣ (مثلاً) .
(٧) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٩ .
(٨) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٢٠٨ .

« وأما الذين خرجوا الى الشام في وقت الجاهلية فهم : كلب ، وسليح ، وتنوخ ، ومسحجة ، والقين ، وبهراء ، وعذرة ، وجرم ، وجهينة ، وبلي أيضاً . وهم من قضاعة من ذرية حمير .

« وأما لخم وجذام وغسّان والأزد ، فهم من ذرية كهلان .

وخرج طوائف كثيرة من اليمن من آل ذي الكلاع الحميري وآل ذي صبح ، وآل ذي رُعين ، وآل ذي ظليم ، ويحصب ، وحضرموت ، وآل ذي الشعبين ، وكندة ، والسكاسك ، والسَّكون ، ومذحج ، وهمدان ، وبجيلة ، وطوائف الأزد من غسّان وبارق وغيرهم .

« فهؤلاء الذين افتتحوا الشام وصارت إقامتهم فيه الى الآن »[1] .

وتفرّقت هذه القبائل في سورية . ففي حوران ومدينتها بصرى نزل قوم من قيس من بني مرّة ، خلا السويداء فإن قوماً من كلب سكنوا بها . وفي البثنية ، ومدينتها اذرعات نزل قوم من اليمن . وفي الجولان ، ومدينتها بانياس ، نزل قوم من قيس أكثرهم بنو مرّة . وكان بها نفر من اليمن . وفي جبل سنير نزل بنو ضبّة وقوم من كلب[2] وبالفلجة ، من أرض دمشق ، نزل بيت من بني الحارث بن كعب[3] وفي الشمال بقي التنوخيون في قنسرين[4] وكذلك كان السلميون من طيء[5] .

وكانت ديار غسّان تبدأ اذا جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها[6] .

(١) نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، (مخطوط في الظاهرية ٨٢٩ تاريخ) لأحد أفاضل وصاب ص ٢٥ ، ٢٦ .
(٢) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، بريل ، ١١٣ - ١١٤ .
(٣) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ليدن ، ص ١٣٠
(٤) ابن العديم ، زبدة الحلب ، دمشق ، ١ : ٣٠ .
(٥) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ١٣ .
(٦) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٣٢ .

أما دمشق فكانت منازل ملوك غسّان . فغلب عليها أهل اليمن وقوم من قيس ، وكان في الغوطة غسّان وبطون من قيس وقوم من ربيعة [١] ، ومن كلب عامر بن الحصين بن عليم [٢] .

وإذن فقد غلب على دمشق قيس واليمن . فلنر أين نزلت هذه القبائل وبطونها في دمشق وفي قرى الغوطة .

* * *

— ٣ —

كانت منازل القبائل ظاهر البلد لا داخله [٣] فقد كانت الأرباض أكثر سعة وأقرب الى الصحراء والبادية . ولعل دور المدينة نفسها لم تكن كافية يومئذ لسكنى الفاتحين جميعاً . فنزلت القبائل في الغوطة وحول سور دمشق ، لأن فيها منفرجاً لهم ولمواشيهم .

إن بعض الأماكن التي نزلت بها بطون قيس واليمن قد اتخذت أسماء النازلين بها . وبقيت هذه الأسماء الى أيام مؤرخ دمشق ابن عساكر . ففي الفصل الذي عقده هذا المؤرخ عن البنيان خارج السور نجده يذكر ما يلي :

« وفي الشام : سطرا ، والفراديس ، والأوزاع ، والصَّدِف ، ومقرى ، ومرج شعبان .

« ومن الغرب : لؤلؤة الكبيرة ، ولؤلؤة الصغيرة ، وقينية ، وصنعاء ، والحميريين ، ومنازل بني رُعين .

« ومن القبلة الراهب ، ومحلة السفليين ، والقطائع ، وفندق بني عبد المطلب [٤] .

(١) اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ليدن ، ص ١١٣ .
(٢) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ليدن ، ص ١٢٩ .
(٣) تاريخ مدينة دمشق ، المجلدة الثانية ، القسم الأول (تحقيقنا) ص ١٤٣ .
(٤) المصدر السابق ١٤٣ - ١٤٤ .

هذا ما ذكره ابن عساكر من الأسماء في شمال المدينة وغربها وجنوبها . وسنذكر ما كان في الشرق بعد .

لنفصل الآن ما أجمله ابن عساكر .

ففي الشمال كانت سطرا . ولم أجد قبيلة أو بطناً بهـذا الاسم . ولم يزد القاموس على ضبطها بوزن سكرى وقال إنها قرية بدمشق . وفي كتاب وقف ابن المنجا الحنبلي ذكر لها . فقد سمّاها « سطرا العرب »[1] . وهذه الاضافة تدل على ان قبائل من العرب كانت تسكن بها ، ولم أعثر على نص فيه اسم هـذه القبائل التي سكنت سطرا . وموقع سطرا اليوم شمال مسجد القصب غرب القصّاع ، وحوالي العنابة[2] .

أما الأوزاع فقرية كانت على طريق مقابر الفراديس . وقام مقامها في القرن السادس الهجري حي العقيبة . وسميت أوزاعاً لنزول الأوزاع بها . والأوزاع بطن من حمير ، وقيل من همدان باسكان الميم . وكانت من قرى اليمانية[3] .

أما الصَّدِف (مثل كَتِف) فقرية كانت غرب مقبرة الفراديس (الدحداح اليوم) نزل بها بطن من بطون الأشرس من كندة ، وهي من كهلان[4] فسميت بهم .

وكانت مقرى قرية شرقي طاحون الاشنان . وما تزال الى هـذا اليوم هناك طاحون تسمى طاحون مقرى . وقد نزل بها بطن من حمير من القحطانية فسميت به[5] .

---

(١) كتاب وقف القاضي ابن المنجا الحنبلي ، (تحقيقنا) ص ١٨ .
(٢) انظر مخطط الصالحية لدهمان .
(٣) معجم البلدان ١ : ٤٠٤ . مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٢ .
(٤) طرفة الأصحاب ص ١١ .
(٥) معجم البلدان ٤ : ٤٣٧ . طرفة الاصحاب ص ١٣ . ومخطط الصالحية لدهمان .

وكانت شعبان قرية عند عين الكرش ممتدة نحو سفح قاسيون ، الى الشمال . وشعبان بطن من همدان من القحطانية أو من حمير [١] نسبت القرية اليه .

ونزل الأشعريون ، وهم من كهلان من القحطانية [٢] في مرج سمي مرج الأشعريين . وكان غرب باب الحديد الذي للقلعة ، أي محل السنجقدار اليوم حتى المرجة ودار البلدية وما يليها غرباً .

أما ما كان في الغرب من البنيان فاللؤلؤتان [٣] ولم أجد اسم البطون التي نزلتها من اليمانية .

أما قينية فنزل بها أناس من القين . فنسبت اليهم . والقين بطن من قضاعة من القحطانية [٤] . وكانت خارج باب الجابية بجوار الخلخال (انظر دور القرآن بدمشق لنا ص ٤٧) .

ونزل اليمانية بين المزة ودمشق بمحاذاة تل الثعالب ، في قرية سمّوها « صنعاء » باسم عاصمة قطرهم اليمن . ومكان صنعاء اليوم الجامعة السورية أي الثكنة الحميدية . وكانت مزرعة وبساتين أيام ياقوت [٥] .

ونزل قوم من حمير في قرية نسبت اليهم فسميت الحميريون . وذكر ياقوت

---

(١) نهاية الأرب ٢ : ٢٩٤ .
(٢) الاشتقاق ص ٢٤٨ . وانظر مخطط دمشق القديمة ، الملحق بالقسم الأول من المجلدة الثانية من تاريخ ابن عساكر .
(٣) المرجح ان مكان اللؤلؤتين اليوم شارع النصر وما يليه الى الجنوب حتى باب الجابية . ويذكر ياقوت أن اللؤلؤة الكبيرة كانت خارج باب الجابية ٤ : ٣٧١ . ويفهم من نصوص وردت عند القلانسي ان قينة ولؤلؤة والقنوات وباب الجابية كانت أراض يجاور بعضها بعضاً . (القلانسي ص ٥ ، ٦) .
(٤) طرفة الأصحاب ص ٥٦ .
(٥) ياقوت ، معجم البلدان ٣ : ٤٢٦ .

انها على القنوات [١]، وهي اليوم عند حي الشويكة، وهناك مقبرة ما تزال الى أيامنا تسمّى الحمرية هي بقايا مقبرة تلك القرية التي دثرت .

أما منازل بني رُعين فكانت، على ما أرجح، قرب المزّة غربي صنعاء . ورعين بطن من حمير [٢] .

وأما المزّة فكان فيها منازل كلب ونسبت اليهم فسميت مزّة كلب [٣] .

ونأتي الآن الى الجنوب . فنجد من أسماء القبائل بني عبد المطلب والراهب والسفليين والقطائع .

فبنو عبد المطلب بن هاشم هم من العدنانية [٤] وكانت منازلهم تقريباً عند المصلّى، في طرف مقبرة باب الصغير الى الجنوب .

والراهب هم الخزرج بن جُدّة من القحطانيــة [٥] وكانت منازلهم جنوب المصلّى وميدان الحصا .

والسفليّون قرية لعلها تكون منسوبة الى سفل يحصب، وسفل يحصب وعلو يحصب مخلافان باليمن [٦] وكان مكانها عند المسجد الجديد، جنوب ميدان الحصا .

والقطائع جمع قطيعة، وهم بطن من بني زبيد بن مذحج من القحطانية [٧] نزلوا جنوب الشاغور فسميت باسمهم [٨] .

(١) معجم البلدان ٢ : ٣٤٢ .
(٢) معجم القبائل ٢ : ٤٣٨ .
(٣) معجم البلدان ٤ : ٥٢٢ .
(٤) نهاية الأرب ٢ : ٣٦٠ .
(٥) العقد الفريد ٢ : ٧٢ .
(٦) معجم البلدان ٣ : ٩٨ .
(٧) معجم القبائل ٣ : ٩٦١ .
(٨) يعتقد الأستاذ دهمان أن مسجد القدم ينسب الى قبيلة القدم، لا الى ما تزعمه العامة أنه قدم الرسول . وان دير مرّان ينسب الى قبيلة مران، لا كما زعم الباحثون انه تثنية مرّ . وفي هاتين الملاحظتين كثير من الصواب . والقدم ومران قبيلتان من اليمن، يبدو أنهما نزلتا في هذين المكانين من أرباض دمشق فنسبا اليهما .

وقد كان في شرق المدينة بيت لهيا . ونزل بها السكاسك من ولد السكسك بن أشرس [1] وهما من اليمن . وكانت في القرن الثاني من أحسن القرى وأكثرها قصوراً [2] .

فيتضح لنا أن القرى القريبة من دمشق المحيطة بسورها كانت مسكونة بقبائل من اليمن ماخلا بني عبد المطلب ، وان هذه القبائل كانت تحيط بالمدينة إحاطة تامة .

– ٤ –

أما الغوطة فقد كانت فيها غسّان ، وبطون من قيس وقوم من ربيعة [3] ولكن الكثرة كانت من اليمن .

لنر الآن القرى اليمانية والقرى الأخرى غير اليمانية . فقد يصعب ذكر البطن الذي سكن كل قرية ، وسنعتمد على نص ورد في ابن عساكر في ترجمة أبي الهيذام الذي كان في القرن الثاني :

كانت داريا أعظم القرى اليمانية في الغوطة [4] ، وقد نزل بها عبس وخولان [5] وفرد من رجب [6] وكان من قراهم : أرزونا ، والأوصاب ، وبيت أبيات ، وبيت الآبار ، وبيت قوفا ، وبيت سوا ، وبيت البلاط ، وقرى حرش ، وجسرين ، وحمورية ، وحجرا ، وحوارة ، وقرى حكم ، والحديثة ، وداعية ، ودقانية ، وزملكا ، وساجد ، وعربيل ، وعقرباء ، وعين ثرماء [7] .

---

(١) جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤٠٥ .
(٢) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٩١ .
(٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ١١٣ .
(٤) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٩٠ .
(٥) تاريخ داريا ص ٢٨ .
(٦) المصدر السابق ص ٣٣ .
(٧) انظر مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٢ – ١٨٧ ترجمة ابي الهيذام .

وكان لهم كفرسوسية[١] وكوكبا الى جانب داريا . وكان حول داريا عامر بن عوف والقين وسليح (مهذب ٧ : ١٨٥) وما ذكرنا حول المدينة من القرى : كفقرى ، والأوزاع والحميريين ، وصنعاء ، وقينية وغيرها . وكان لهم جبل دير مران أيضاً (مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨١) .

أما قرى قيس فكان منها في الغوطة صكا[٢] ، وبراق[٣] ، وحلفبلتا ، وبلاس ، وراوية ، وكفربطنا[٤] ، والقطيفة[٥] .

ويبدو أن جوبر ومزرعة الضحاك كانت لقيس . نستدل على ذلك من بيت ورد في الحماسة هو :

إذا افتخر القيسيُّ فاذكر بلاءه بزرّاعة الضحاك شرقيَّ جوبرا

وهو من أبيات لعمرو بن مخلاة الحمار الكلبي يندّد فيها بمروان بن الحكم ويذكر بلاء اليمن . ويقول : اذا افتخرت قيس فاذكر لهم خذلانهم الضحاك ليتركوا الافتخار[٦] .

وكان ما حول الكسوة لقيس . لأن جبل مانع المشرف على الكسوة كان لقيس ويوقد أبو الهيذام في فتنته النار منه[٧] .

وكان في حرجلة بنو سليم أو بنو كلاب[٨] .

(١) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨٣ .
(٢) المصدر السابق ٧ : ١٨٨ .
(٣) المصدر السابق ٧ : ١٨٧ .
(٤) المصدر السابق
(٥) المصدر السابق ٧ : ١٨٢ .
(٦) ديوان حماسة أبي تمام مع شرحه للتبريزي ج ٢ ص ١٤٢ ، القاهرة ١٩٢٧ ، وقد نبهنا الى هذا البيت الأستاذ الجليل خليل مردم بك .
(٧) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٨١ .
(٨) مهذب ابن عساكر ٧ : ١٧٩ .

وكان كلب في البقاع والجولان [١] والزواقيل بحوران [٢] .

وكانت دومة لبني تغلب بن وائل من قيس [٣] وكذلك كانت حمنا لتغلب [٤] .

هذه نظرة مجملة تبين منازل القبائل العربية في أرباض دمشق وغوطتها ، نرى منها أن اليمانيين كانوا في الغوطة أجمع داراً من قيس ، وأنهم أهل الثروة والعدد والعزّ .

وقد كان لتجاور قيس واليمن والعداوة التي قامت بينهم أثر كبير في التاريخ الاسلامي . فالخصومة بين هذه القبائل ظلت شديدة تفور ، بدأت بوقعة مرج راهط في القرن الأول ومرت بفتنة أبي الهيذام في القرن الثاني وظلت حتى انتهت في عين دارة في أيام العثمانيين سنة ١٧١١ ميلادية .

صلاح الدين المنجد

---

(١) مهذب ٧ : ١٧٩ .

(٢) مهذب ٧ : ١٧٨ .

(٣) مهذب ٧ : ١٩٠ .

(٤) مهذب ٧ : ١٨٤ . وانظر عن هذه القرى جغراء غوطة دمشق للأستاذ كرد علي (الطبعة الثانية) ، ومعجم البلدان لياقوت ، وضرب الحوطة لابن طولون .